سركون بولص

الوصول الى مدينة أين

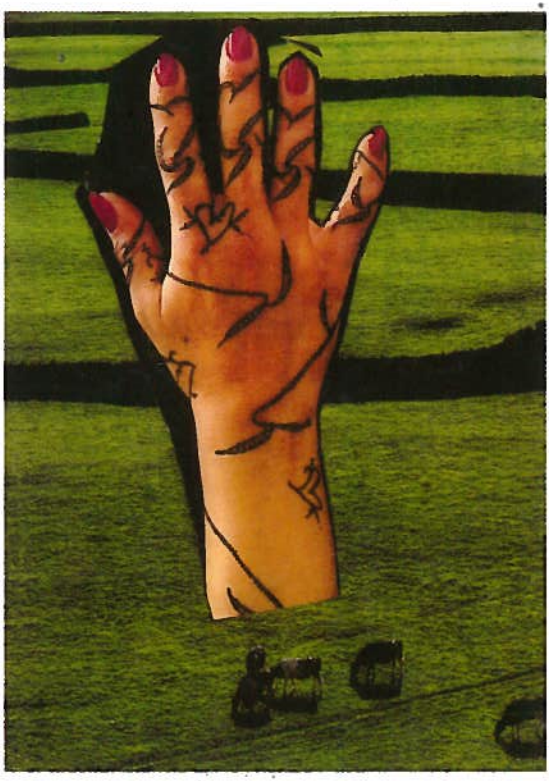

شعر

منشورات الجمل

سركون بولص

الوصول الى مدينة أين

شعر

منشورات الجمل

ولد **سركون بولص** عام ١٩٤٤ بالقرب من بحيرة الحبّانية - العراق. يقيم منذ عام ١٩٦٩ في سان فرانسيسكو - الولايات الأمريكية المتحدة، وقد أمضى السنوات الأخيرة متنقلاً بين أوروبا وأمريكا، خصوصاً في ألمانيا، حيث حصل على عدّة مِنَح للتفرّغ الأدبي وحيث صدر له كتابان بالألمانية: **غرفة مهجورة**، قصص (برلين ١٩٩٦)؛ **شهود على الضفاف**، قصائد مختارة (برلين ١٩٩٧). من كتبه: **الوصول إلى مدينة أين**، شعر (أثينا ١٩٨٥)؛ **الحياة قرب الأكروبول**، شعر (الدار البيضاء، ١٩٨٨)؛ **الأول والتالي**، شعر (كولونيا ١٩٩٣)؛ **حامل الفانوس في ليل الذئاب**، شعر (كولونيا- بيروت ١٩٩٦)؛ **إذا كنت نائما في مركب نوح**، شعر (كولونيا- بيروت ١٩٩٨)؛ **رقائم لروح الكون**، ترجمات شعرية مختارة (كولونيا -بيروت ٢٠٠٢).

سركون بولص: الوصول الى مدينة أين، شعر، الطبعة الأولى
(صدرت هذه المجموعة لأول مرّة عن «منشورات سارق النار» أثينا ١٩٨٥)
كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، كولونيا ٢٠٠٣
الغلاف: سركون بولص

© *Al-Kamel Verlag 2003*
Postfach 210149 . 50527 Köln . Germany
Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763
E-Mail: KAlmaaly@aol.com

هناك رحلات

ABO ABDO ALBAGL

أصلُ الى وطني بعد ان عبرتُ
نهراً يهبط فيه المنجّمون بالات فكية صدئة
مفتشين عن النجوم
او لا أصل الى وطني
بعد ان عبرت نهراً لا يهبط فيه احد
هناك رحلات
أعود منها ساهماً
نحيلاً كظلّ إبرة
التقي بالصباح وجهاً لوجه
كأنني تركتُ نفقاً ورائي قبل لحظة
يتصاعدُ البخار تحت يدي
من كوب القهوة الجميل
بصدعه الطويل الوحيد كجدار ميّتم
التقي بفلاّح جُنّ في المجاعات
يشحذُ في مساء المدن الكبيرة
وامرأة تسير على ضياء شعرها الابيض

بين الخرائب
أطلق سراحَ عينيّ وأسافر
وأتركُ انفتاحات غامضةً تأخذني
وبأبوةٍ
عارفة بأهدافي اكثر مني
تمنحني هداياها المخيفة
بيدين تنضحان عناية مطلقة
كمن يحملُ قطرةَ ماءٍ وحيدة عبر صحراء
واللمس، ذخيرتي، قادني وهداني
كقطار من النبضات
يسافر طويلاً حتى يلاقيني:
في نهاية كل كهف
شمعةٌ تدعوني لأجلس الى مائدة
بكى عليها أجدادي وأقسموا وصاموا
وكلُّ صيحةٍ تنطلقُ من أيّة نافذةٍ بعيدة
توقظني من أعمق أحلامي فأتبعها
كالأعمى الذي يغزو الهواء بيديه
نحو أقطارٍ عدَوة
هُرِّبت اليها عيناه وطولب بالجزية

أسمعُ الريحَ بأظافري
وأعرف أين تختبيء عروسي

كان ذلك
عندما أبصرتُ رمزي المفضّل
يهبط كالنسناس من راحة يدي
ويدلّني على أماكنَ مجهولة يتصاعد منها تنفُّسُ الأحياء
تبعثُه وعينايَ معصوبتان
بريش معرفتي القليلة
ويدايَ مقيّدتان بالحريّة وأسنانُها
تنغرز في رسغي والألم
يجعلني أتطوّح كالسكّير في أزقّة غريبة أسرارُها لم تنجح
في مواساتي
واثباً في الهواء بحركات
المعذّبين الخرقاء
كأن طيورَ الأرض التي اجتمعتْ تحت صدري
تبدأُ انتفاضها الموسميّ من الأعماق
وكان ذلك
عندما اكتشفوا عنقاءَ الشعراء بالصُّدفة

تختبئُ في سراديبَ سريّة وتُشعلُ نفسها من حينٍ لحين
بكبريت الوقائع اليوميّة
باحتقار الدخول إلاّ اقتحاماً
من الأبواب المحصّنة
وعندما طاردوا الحياةَ والموتَ متعانقين
حتّى آخرَ صخرة تطلُّ على الهاوية
ولأنّني طُردتُ عارياً من جنّة النسيان
الى جنّة الكلمة
حيث الكلابُ بضجَرٍ
تداعبُ الشمسَ بمخالبها الانسانيّة
سأمدحُ حتى الكلابَ قليلاً
وأُقسمُ ان الرموزَ
ليست أحذيةً مدرّبةً على السَفَر
وانَ النوم
ليس السامريَ الصالح
يسوط حماره في أحلامي نحو مُدن الحرب
وان هذه المرأة الاسبانيّة التي تبكي من أجل إبن
لا تشبه كثيراً امرأةً
لها نفسُ الوجه في بيروت

وان الحشرات في كلّ مكان
تلبسُ نفسَ البدلة
ويحرسها البوليس بنفس الطاعة
والعصافيرُ مقوّسةٌ بأعباء بشريّة ثقيلة
حتّى عندما نظنُّ انها تغني
لتسلية العشّاق

ولأنني طاردتُ نفسي حتّى
حافّة اكثر أفكاري خطورةً
وهناك خطر الانزلاق الدائم
فالحافة ليست في مكانها دائماً!،
أقفُ بجانب نفسي، مشجّعاً نفسي
على المضيّ، والليلُ والنهار
تؤامان سياميّان
يلعبان الشطرنج على صدري
وحتّى يحرّكا بيدقاً واحداً
على النثر أن ينشب مخالبَهُ
في رقبة الشعر الهزيلة
وصراعهما سرّيٌّ

يمتد في الأزقّة حتى
يتّخذَ أبعاداً سياسيّة
تُعلّقُ منها أحزابُ المعارضة وهي تحتجّ
على عدم وجودها سوى في الموافقة
وجميعُ أسرار الأفق
هذا اليوم
لا تساوي رغيفاً بغدادياً واحداً
وأجملُ امرأة في العالم
للأسف
تجعلني أبكي
لكنني أقسمُ ان النَسْر
رجُل، رجل حقيقي الى درجة انه امرأة!
رجل عجوز ذو لحية وأحذية قديمة
يفرّقُ بعصاهُ العصور
كأنها مواكبٌ من الأطفال
ويمضي واجماً كأبي حين يبحث عنّي
في أزقّة بغداد
على ضوء النجوم التي ماتت
بمئاتِ ملايين السنين

قبل ان يصل نورُها الى الأرض

وهكذا التقطتُ خيط الرحلة من التراب بأسناني
واستغرقَ وصولي الى بيتي ألفَ ليلة
وليلة.

الضيف البعيد

طيلة سنوات، تجرّني اليقْظةُ من ثيابي
الى أماكن لم يرها أحد
الا نائماً او مخموراً
اكتبُ باليد التي هجرتني
ولكي أرى هذا المصباح الذي وجدته
مليئاً بالرمل في احدى أصعب رحلاتي
يضيء حتى مرةً واحدة
عليَ ان أبني بلدة جديدة
أعرفُ ان عليَ ان أموت حيث ولدت
لكن قبل ذلك دعوني أُكمل ولادتي
بالفأس الراحلة خلف ثعبان
بالغراب الذي يجبرني
أن اطرده من الشجرة بالحجارة
أتيتُ من بلدٍ بعيد
لأرى راقصةَ الرمال
في فُصَ الخاتَم السحري

ترقصُ لي وحدي مرةً على الأقل

وهناك
الحانات التي تشربُ فيها من جمجمة جارك
وهناكَ الجسور التي بنيت
لتجذب المسافرين الأغبياء الى داخل المدينة
التي أصيب أهلها كلّهم بالطاعون
هناك المرأةُ في داخل المرأة
كالمشط الخبيء في ظهر سمكة
والطريق التي عبّدها عبيدٌ اسطوريون
منذ ألف سنة لتسير عليها الى حتفك

هناك ألفُ سنة في جيبي
ترفض ان تؤرّخ ولكن لا احد يراني اليوم
الا اذا أغمض عينيه ونسيني
اليوم
تخرج كل علّة
ومعلولها على الأكتاف
اليوم تتبع النساء رجالهنّ الى المنفى

واذا كنتُ قد بعثت بأوهامي في الطليعة
لتستكشف مدينتكم
فلأنني
حين حاولتُ ان أطلَ على الهاوية
ركضَ الجميعُ الى خارج الأسوار
وسبقني بعضهم الى مصيري
رأيتُ ابي البارحة
وفي أنابيب كتفيه كالناي
مخلوقٌ اسطوريَ يُجبرُ الريحَ على ان تعترف
لا تثق إلاّ بالحجارة
انا بين يديك
أنا من باع حياته ليشتري عينين وفيّتين
أتعبني ما عرفتُ مقدماً
وجسدي لم يعد يتبعني.

لن أنتظر أكثر

لن أنتظر اكثر والا انقرضت هذه اللحظة باشراقتها الواحدة. او على الأقل ضاعت مني. ضاعت مني كالقطار الذي كان سيحملني الى قرية، ولا أرى منه الا ريشةً من بخارٍ تحومُ حول نراعي، ومنها، حقيبةٌ تتدلّى بثقل أحلامي: الصمتُ الطويل أقنعني

انني شجرة
تبزغُ في أغصانها أقمارُ الصبر

وأريد ان أعيش كل شيء ثانيةً:
ميلادُ طفلة في سرداب. حفنةُ البارود التي يكمن فيها مصيرُ جدار. مطبعة القلب السريّة. درّاجة بطيئة يخوض بها عاملٌ مذبحةَ الغسق نحو طبقٍ من الحساء، هناك، وراء جدار من الأيدي النحيلة، وراء طفولتي.

وللذكرى أيضاً: كنت ماهراً في رمي الحجارة الى سقوف مستحيلة.

كانت لي عصابة من الأطفال. سبحتُ في دجلة مراراً وفي الفرات. وقابلت الحرية على عربة، بوجهها الذي لأرملة من الغبار، في طريقها الى معسكرات صغيرة لا تملك حتى شمعة، تستثمرُ صرَعَ الليل.

عن طريق مجهولة لا يذكرها أحد، وصلتُ الى غابة من لحى أجدادي تخفق كملابس غرقى في مغسلة النسيم. رأيت خيولهم غارقةً في لعاب الحكمة تتأمل الحجارةَ أياماً، حيث بدأت طفولتي تختفي بسرعة.

الصباح سلاحٌ قويٌ في يد الجميع. والمأدبة:
امرأةٌ حبلى الى الأبد.
والبضاعة الوحيدة التي تشبه الذهب هي الطريق.

أعترف بخطايا معقّدة وطويلة لا أذكر من اقترفها، لماذا. أريد ان اعترف أيضاً، انني أنا الذي سرقتُ مسامير النجّار

وتسلّقت بيضة الأفق في عام ١٩٦٣، بأقماره المتكررة، بتقويمه الملفّق، لأسباب غامضة لم تعد تحيّرني.

اغتصبتُ العزلة كأنها عذراء شاردة في مدينة مقصوفة تتدلّى أبوابها الى الوديان. وعرفتُ، لوهلة، كيف يفكّر الجندي.

كنت أركب الشارع أيضاً، محمولاً على موجة المواصلات بين الجميع ولا أحد.

حتى تعلّمتُ أسرارَ الحفاة القديمة، وكانت هذه المدن اليتيمة كلّها بانتظار أقدامي.

في تلك الأيام

في تلك الأيام، وهم يحملون العاريات على المحفّات، كانوا يجرفون العبيدَ بالشِّباك من الأنهار. ليلاً، وتحت غطاء من الأسرار، عرفوا الجماعات الهاربة في لفاع الطاعة، تحت يدٍ لا تسقط منها كأسُ الرمل الاّ غصباً، الاّ وهي مبتورة.

تطفو على المتاريس التي جفّ عليها الدم، ومن العنف، من الصبر الطويل كصفّ من العبيد، هذه الحاجة التي تطفر بوثبة واحدة الى داخل الاناء المليء بنجوم مزيّفة.

هذه الحاجة

كجوادٍ مسْرَج منذ الصباح يضرب بحوافره جبهتي، وعرفُه متوتر كالمشط في نسيم سرّي يأتي من مكانٍ بعيد:

مسقط رأسي الذي وثبتُ منه كالحمل الى قبضة العالم حيث الآلهة كالمهرّبين تتهامسُ خلف ستار الحانة.

هذه هي

هذه هي الأرض المحرمة
حيثُ يُفصَل الأحياءُ عن الموتى
هذا هو السرُّ الذي يفتح أبواباً
بحفيف ثيابه العابرة
وكالأسطورة التي ضربت بجبينها
أرضيّة الواقع
يتكسّرُ التاريخ في موجة مدلهمّة
على سدّةٍ طويلة من ركَب الشعوب

والأسوأ من ذلك
ان المؤرخين اختفوا في العاصفة

وبينما كان مصيرنا يتنقّل من واحة الى واحة
في هودجٍ يحمله عبيدُ الصُّدفة
وقع ذات مساءٍ في الكمين

خرج الحلم ليقطع رأس الواقع أخيراً
بضربة
من فرط ما استُظْهرت في الأعماق
كان عليها ان تتجسد كاملةً

فالرحلة في بدايتها
والخمرةُ قويّة.

قصيدة إجرح الهواء

إجْرحِ الهواء عانقْ جسدَ الموسيقى
نمْ في خندق الكلمة

هناك نبضةٌ في داخل النبضة
ونبضةٌ اخرى في داخل النبضة الثانية

أحذيتي تحلمُ بالطريق
وأنا في نومي تركتُ جلدي
خرجتُ الى العراء نمتُ في بلدةٍ نهريّة مع امرأة
صاحتْ بي في منتصف الليل: ماذا فعلتَ يا سركون؟
يداك! في كلٍّ منهما سمكةٌ حيّة

كنتُ قد نمتُ
وثدياها في يديَ

الساعة الثالثة

الساعة الثالثة صباحاً، ساعةُ القصيدة المنتظَرة.
اكتُب هذه القصيدة على ظهر أيامي.

حين احترق كلياً، يجرفني تعب عظيم نحو الأرض
التي تنتظرني مثل كفّ تنتظر قطعة النقود المقذوفة في
الهواء، منذ عدّة عواصف.

دون خارطة، دون ان ينتظرني أحد حيث أذهب،
ولا أحد ينتظر عودتي. دمائي العمودية وحدها تذكّرني
بأنهار وطني، وفي كل بلدة عيناي الوفيّتان (أمتعتي
الوحيدة) وحدهما.

وها أنا استيقظ مرة ثانية غريباً في جسدي، كرجلٍ
يستيقظ فجأة في قارب نجْدة، بعيداً عن اليابسة.

جريمة مغرَمة بالحدوث

لم أعد أعرفْ
أيَ نور غريب النوايا
هذا الذي يسبح بين أصابعي، كلما تعانقتْ
هذا الذي يسبح في اتجاهاتٍ حائرة
في رحلاتٍ تسجّلها الحجارة

كلُّ رحلة مؤلفةٌ من خطىً
مسروقة
وتحتاجُ الى كل خطوةٍ بالتساوي
وبراهيني من الغموض
بحيث
قد أكون بسهولة
أيَّ مسافرٍ عاد، خفيةً، الى أرضه
ليغيّر ما رآه الى الأبد

هذه الجدران خياليّة

لكن الكلاب التي تحرسُ أحلامَ التماثيل
لا تعرف ذلك

عندما لا يسمعها احد
أين تذهب الأصوات؟ أين تذهب الأصوات
عندما لا يسمعها احد؟

المسافة الوسطى تستجديني لأقتلها
ليلاً، وعلى ضوء سكين

تستجديني لأقتل:
بين ماذا
والجواب الذي يأتي على الفور
من لا مكان.

بين الواحد والآخر:
نقطةٌ
يشرب فيها النبعُ نفسَهُ
وتتجاهلُ البندقيةُ أهدافَها

عرّف المجهولَ، أيضاً، بهذه الاضافة:

لقد فتحنا القناةَ المؤدية الى الاغوار
والجنّة، هذه الليلة، على بعد خطوة
الجنة. هذه الليلة.

عندما استيقظ
عندما افتح نافذتي في الصباح
أجدُ نفسي مطلاً على افريقيا.

دلتا

يتّخذُ في كلّ مكان
جميعَ الأشكال إلاّ شكله الحقيقي
يسيرُ متظاهراً بأنّه غيمةٌ من التجاعيد
تصعد من فوّهة بركانٍ في الصباح
أو أنّه
شوكةُ أكْل
تنغرز عمودياً في مائدة العالم
او علامة استفهام طافية الى الأبد
فوق كرة الأرض متوازنةً بفعل معجزة
كنصلٍ ملتوٍ أو كوبرا تصلّي
لكنّه ينشغلُ في الاتّجاهات الأربعة، في نوعٍ من
المحاق
لا ترى فيه إلاّ القطط
والعميانُ بالولادة
ويطلقُ النار في أحلامه على مسلّة حمورابي
التي سيُطيعُ قوانينها عندما يستيقظ في الصباح

ولا يصلُ المركز (وهو لا يريد ان يصل بسرعة) إلاّ اذا قرّر نهائياً أن

يزوّج الجلد بالسكّين (١
يزوج السكين بالمرأة (٢
يزوج المرأة بالعين (٣
يزوج العين بالغيمة (٤
يزوج الغيمة بالفوهة (٥
يزوج الفوهة بالسهم (٦
يزوج السهم بالبرج (٧
يزوج البرج بالولادة (٨
يزوج الولادة بالخليّة (٩
يزوج الخليّة بالرصاصة (١٠
يزوج الرصاصة بالزناد (١١
يزوج الزناد باليد (١٢

في نهاية ١٢ شهراً سيتحوّل دماغه الى قبضة حين يعصرُ بها العالم، ستجري من بين أصابعها حقيقةٌ مزدوجة الأصل كنهرٍ له دلتا كاملة.

خرائب

اتبع امرأة
الى داخل بيت مبني
على شكل رصاصة، يدي اليسرى
مقيّدةٌ بسلسلة
والبحرُ من اليمين يجذب ردن قميصي
كلاجئ جُنّ يتسوّل في بلدة
دُمّرت بالقنابل والدبابات وهناك رجلٌ
يحاول بالقوة ان يحشر أطفاله نصف الموتى من الجوع
في قفصي الصدريّ تحت ابطيّ وبين اقدامي وفي كهوف
أحلامي
يظهر امامي حتى عندما أضيّعُ طريقي
اعطيه سيجارةً وعلبة ثقاب
فيأخذ الإثنين بلهفة
حين يبتعدُ عني
ذاهباً ليحرق نفسه في ساحة مزدحمة
تظهر المرأة من البيت وثدياها المترهّلان بالولادة

ينزفان الدم من حلمتيهما على الحجارة
وفي داخلي تبدأ عيون أطفالها بالاحتراق وتجبرني
بسطوعها الغريب الذي ألفته على ان أبدأ بالسير وأنا أتمتم
بأغنيةٍ محطّمة، أهذي عن طريقٍ كانت تنهض في الماضي
لمقدمي وأتبعُ الأبَ المجنون حيثما يذهب.

الى صاحب الملك، الى صندوق أمين الريح

آنذاك ينتصبُ ثعبانٌ وحيد
في وسط الصحراء وقد جاءَ الليل
ويرى النجّار
إطارَ النافذة يحلّقُ وحده في متاهة يديه
تستيقظ الحياةُ عند قاعدة النهر
وقد نسيتْ ان تصلّي وولدتْ من الصَدْمة

تقرّرُ الأرض بالقُرعة
ان تهاجم قلبها، حيث أتحصّن
وحولي جميع أولادي يتشبّثون بحزامي.

وصلتُ الى الحد.
في الأصل كنت راعياً يفترس أرخبيلاً ممزقاً
من الأرواح.
في الماضي الذي لا يمكن صيده
اخرجُ اليه فيهرب:
غزالةٌ تأكل الملحَ على بابي.
أيَ ملحٍ بقيَ لي أيها الماضي؟
جُننتُ من الافلاس والمحبة.
وذات ليلة تحوّل افلاسي الى طير
ومحبّتي الى جمرة.
هربَ الطير، بقيت الجمرة.
في الجمرة دخلتُ أخيراً.
نزلتُ الى احشائها وحفرتُ جمالها.
أيقنت من عزلتها وأنا أدخل وأتعثر بغيمة غضبي.
لأن عزلتي كانت قويّةً جداً.
ودخلت.

الجمرةُ في اليد

في نفس الوقت هي في اليد وأنا فيها.

رجلٌ يحمل جمرةً في يده تحتوي رجلاً يحمل جمرةً في يده.

لن أخرج.

لن يخرج الرجل.

ماذا أفعل بحياتي؟

هناك باخرة ضائعة ترعى بين احشائي.

وأصادف ذات يوم ملابس بودلير الداخلية في طريقي.

كيف وصلتْ الى بيروت.

آلامُ بودلير وصلت عن طريق البحر.

الأعشابُ لا تمنع ان تطفو اليد قليلاً.

يدٌ مريضة تهربُ.

الجمرةُ فيها.

قالوا لي ما دمتَ قد جُننتَ من الافلاس والمحبة فأنتَ قد جننتَ من الافلاس والمحبّة!

قالوا لي اترك الجمرة.

وفي غرفتي ازدحمت نصائحُ ذاتُ قاماتٍ طويلة.

وخرجتُ من غرفتي الى غرفة الجمرة.

نزلتُ ثانيةً.
كانت رحلةً طويلة.
رحلةً طويلةً كانت لا يعرف فيها أحدٌ أحداً.
لا يشربُ أحدٌ غير أحشاء صديقه المخلص.
لا يطيرُ أحدٌ إلاّ في امرأة.
النومُ في جمرة واحدة.
ليلُ الجميع واحدٌ.
نمتُ طويلاً في سفْن الضعف.
قلت قودوني الى الحرب لأشفى ورأيتُ جمرتي.
قلت قودوني الى الحرب لأشفى ورأيت جمرتي تنتظر.
الغزالة تأكل الملح على بابي.
أيها الماضي أيها الماضي
ماذا فعلتَ بنفسك ايها الماضي؟
وذات ليلة تحوّل افلاسي الى طير
ومحبتي الى جمرة.
حلّق الطير وحده على الجمرة.
بقي الطير ينظر الى الجمرة حتى انطفأت الجمرة.
أيها الماضي أيها الماضي ماذا فعلتَ بحياتي؟

(شتاء ١٩٦٩)

الى ربّة الظروف العارية سيدوري، من مسافر

أنت
هذه الغنيمة التي عدتُ بها
من أسفاري المتقطّعة
وثني المسروق من غابة البرابرة
شَعرك خيمة سأنامُ فيها ليلةً
أُصغي على شطآن وصولي الى الأيام
الى أيّام معيَّنة

بعضُها
بتردّد
يحتويني

حبُّنا الخاطف سيكون الشرارة
عندما تلدغ القلبَ الصغير التانه بين القضبان
في هيكل العالم الشاهق:
منجمٌ

لا ينقصهُ الذَهَب..
لكن هذا مجرّدُ أمل
وليس نبوءة

أنتِ صاحبةُ الحانة سيدوري
تحفظين أحلامي عن ظهر قلب
تلوّحين، بين ساقيك، بطُعْم لذّاتك المستحيلة
وحيث كلّ زهرة
تأكلُ نفسها
تبحثين بوحوشك حتى الموت عن مأدبة

تصيدين مسافرك المختار
بصنّارة أعراسك الشبقة في الظلام
بعينيّ ذئب
كان ملاكاً في العصور السحيقة

شعرك الذي هربَ وطفا
على ثقوب نايي
تستيقظ الرغبةُ في ظلّه الآن

محجوزةً للفتك، مخالبُها الخمسة
جيوشُها المائلة في الظلّ
فقدتْ صبرها

محجوزةٌ للمضيّ بعيداً

لكنّها في النهاية
لا تسيل الاّ الى ماضيها
في القبلة التي اندثرتْ
في حيرة القبلة

وبأشدّ ما يكونُ الرفْق
بأخفّ ما تكون الجريمةُ الهائمة
هائمةً

أحملكِ مطويّةً كرسالةٍ الى وطني
لتعصفي في أبوابه حتى الصباح

قصيدة كلّ عشبة

كل عشبة ظهرت امام قدميك
عاشت لتجمع خطواتك في قلبها كالكنز
وأنت في طريقك الى هذا اللقاء
في آخر زنزانات الأبجدية
هنا ينتهي العالم المعروف
يتسلّقُ نهرٌ ضفّتيه
تجوعُ جوعَ الحيتان
جوعَ المنارات الى سفن
لكن غير مختار
وتجوع باختيارك أحياناً
كأن الشعب بأسره يطالب في أحشائك برغيف
تمشي وأنت حافٍ في الحقيقة
في صحراء تخترع ظلالها بالصبر، برجْمٍ طويل
في مملكةٍ صيغت من ظلّ رصاصة
الأغاني لا تريد ان تترك الأفواه
ان لم تحطّم الأسنان

آخر الينابيع يخنقُهُ الرمل
الكلُّ لا يذهبُ الى الواحد، الصرخةُ تضيع
انها شجرة الخوف تمشّط أوراقها الى خلف
قبل ان تستقبل ذكريات الريح
والجسدُ أينما كان
يحمل ينابيعه كالسلالم الى أيّة جبهة
سنداناً وفيّاً يغفرُ آثامَ المطرقة.

قصيدة قبل ان يزيح البطل

قبل ان يُزيح البطلُ بيديه
ستارةَ النوم الحجريّة بين فخذي الأميرة
يأمرني بأن استعمل الأدلة
على هيئة مركب
أجذّفُ فيه بين صخور ملتهبة
يعبرُ تحت ستارة الطقس كعالم مفقود، كليلة

الحروفُ أولاً
أعداءٌ ملتحون يحاربون بأسلحة بدائيّة
وأفخاخهم نُصبت كيفما اتّفق وبسرعة
كقبور الفقراء الموزّعة بانتظام على طريقي
وراء نظّارة من المسافات السحيقة
عيونهم لا تعرفني

وجوههم أسمالٌ تاريخيّة ملطّخةٌ بذكرى
ينتظر فيها نصري المحقّق كفرَج الحسناء النائمة

الكلمة ستعرفني خلسةً
كامرأةٍ ضاجعتها مرّةً ذات مساء مليء بالمعيّدين.

امرأة في ميناء (هامبورغ)

ظهرها العاري مقلّم بأضواء النيون كسطح سفينة تبحرُ، خرافيّةٌ في شمس الفجر. استيقظتْ قبلي، في مدينة حاولتُ ان أتذكر اسمها، موقعها الجغرافي. السفينة تقف في النافذة. والنسيم في شعرها مشوك بالأصوات الآتية والحرة في خارج الفندق. فمها الآن مطليٌ كأيقونة، وكان دليلاً في ظلام البارحة. يحمل معرفةً ثقيلة وفتّاكة، كعطر يصعد من الأرض مع عرق الأحياء. ثم جاءت عائدةً، لتجلس على السرير وتدخّن بيد، ممشّطةً شعرها باليد الثانية. امتدت يدي الى الشعر الكثيف الذي أيقظه النسيمُ لحظةً، بينما تظاهرتُ بأنني نائم.

ثم قرّرتُ ان

اسحب يدي اخيراً، وان أنامَ بصدقٍ هذه المرة.

موسيقى

استيقظتُ بعيداً عن البيت، ماشياً وحدي في موكب. الموسيقى تأتي من مقدمة بعيدة لا أحد يدري الى أية مسافة تمتد. في يدي عصا راعٍ، أو حجر ربما: للهجوم على نافذة، لمطاردة كلب.

ثم انحرف الموكب المؤلف منيّ الى اليسار، ورأيت بناية تنتظر بتوتّر. الموسيقى الحماسية التي كانت تفيض من بابها، في سيل طويل حيّ من الأنفاس المؤرقة، دخلت مرحلة الايجاز، صارت تعدّ نغماتها على أصابع اليد الواحدة. ثم طوى السلّم الموسيقي نفسه. (عازفٌ يتسلّل بحقيبته من بابٍ خلفي. الى بيت أخر؟) من الباب الخلفي، عازف يتسلّل بخفة وفي يده حقيبة. لا نافذة، لا كلب.

تحكم المصادفات

تحكم المصادفات ولمدة طويلة
هذا السيلَ المتقطّع من الاكتشافات:
الينابيعُ مهدّدةٌ بالجفاف
وتسيلُ مع ذلك بمعجزة
أطرافُ المرأة النائمة بجانبي
تتحرّك من وقت الى وقت
وكأنها استقلّت عن نظام ما
لكنَ الايقاع في نفس الوقت
يتبعُ طريقَ الشكوك الابدية، كنافذة مفتوحة
تنزل منها الحياةُ الى الشارع المزدحم
على حبال سريّة من صدى
ومثلَ من يهربُ من حريق
تجري بشعرها الوحشيَ في كل الجهات
كامرأة ترملتْ
هذه اليد مثلاً
كان غيري سيستخدمها في الصلاة

أو القتل او التحية

هذه القدم: في الهرولةِ نحو قريةٍ مجهولة

لن يطبعها على الخارطة في نهايةِ المطاف

الا لهاثُ الحاضر المتسارع يركضُ في مكانه طعنةً

بعد طعنة

حتى الشوط الاخير

الى آخر كلمةٍ في معنىً ما

ليجدَ الكأسَ التي لن يشربَ منها أحد.

الجريح

والآن تمتلئُ اليدانِ بالثلجِ. في رسغيَّ تستيقظُ ذكرياتُ مجدّفينَ عميان يُبْحرون بلا بوصلة الى المجهول. والسماء بأفقها المطعون تصغر، حتى تتّخذ شكلَ إبرة. لكن الفتْق يتّسع باستمرار. الجرحُ يسخر من الضماد مقدّماً.

أعرفُ ان قامةً تقف في ساحة من الارتعاشات، تمسّد لأيامٍ كاملة، ومثلَ اكتشاف، وعدَ لقاءٍ واحد يتمّ، ربّما.

أعرفُ ان الشمس غداً، ستأتي مسجورةً بالنوافذ، وتُعيد اليّ حصّتي من الذهب.

صباح سحري

هاجر بعيداً عن نفسه وحطّ قرب شجرة. كان كلبٌ يقبع على ضفّة نهر، ورجلان يسيران تحت جبل. ومن البعيد، مرآةٌ تعكس الشمس كانت تتحرك بمرونة في داخل كهف. أدار الكلب وجهه السحري الى اليابسة، وعلى الفور استدار الرجلان وأخذا يسيران نحوه. وسكنت حركة المرآة.

أخذ الزمن يتثاقل تدريجياً حتى انهار، كاطار سيّارة منسوفة في طريقي، كنبيل مفلس يتمرّغ في قدميّ دائن.

ولاّعة

أجرّب الولاعة الميّتة.
انه الظلام
وكلّ ما أريده من العالم
في هذه اللحظة
ثقابٌ واحد
واحد!
لا اثنين
لكنّ الشعلة تحشرج باقتضاب
وآخرُ أنفاسها، كالتاريخ، لا ينجح الاّ
في تسويد الحواف.
وهذا ما يحدثُ فعلاً.
من يعرف
كيف يفكّر الله؟
أريد ان أقضي
الصباحَ التالي انن
كأنه دينارٌ جديد

يدفعني الى التسكّع في أماكنَ مشبوهة
الى التسلّل من لحظة الى أخرى
كموجة من المتآمرين
تلبط جدرانَ الممرّات السرية
بألسنة الفوانيس
حتى أجدكِ في أحدها وجهاً لوجه
مخلوقاً من الموسيقى يدعوني الى العزف
طيلةَ ليلةٍ كاملة.

مَهْرب

لا مَهْرب.
أفتحُ زاويةً لابتداءٍ جديد.

مرثاةٌ واحدةٌ: هذا
ما تطلبه الأشجار
بألسنةٍ متخاذلةٍ من بستانٍ يختفي

مرثاةٌ لشابّةٍ عابرة
لوجهٍ يكشفُ عن نفسه النّقاب
فاذا هو ألفُ ليلةٍ وليلة

لرغبةٍ كبيرة
أقنعها الليلُ بالسيلان
ولكن بقدَريّة السوابق (...)

غبارٌ مقبل تهتزّ له الأوراق.

ولكن لا مهْرب.

الرغبةُ ثانيةً
تفتحُ للوحوشِ في عُرْيِها خميلة

بلمسة واحدة كنت تقهرينني

بلمسة واحدة كنت تقهرينني
وأنا طاغيةٌ صارمٌ أصمّ لا يسمع أحداً
وهمسةٌ واحدةٌ منك، تكفي
لأجد الواحة الوحيدة في صحرائي
دون أن يُدهشني وصولي

تختبئين وراء ستارة سريعة من الأمواج
مركبي الطائشُ وحدهُ أسيرُها
لا يصغي الى خفر السواحل ينذرونه بالطوارئ
لا يفهم مكبّرات الصوت
ولكنّ الريح
تحملهُ في النهاية إلى ثغور أسيا
حيث النساءُ ينهضن موحلات بين قوارب الصيد
تحت فوانيس مطفأة

في الوديان التي وصلتُ اليها

بوثبةٍ عمياء كوثبة القافزِ بالزانة على هاويةٍ
أخوضُ نومكِ البعيدَ حتى جبيني وأصعدُ ثانيةً

أصعدُ ثانيةً من وراء الندم
الى شفتين تتجمّعُ عليهما بضعُ قُبلاتٍ
مستَحَقّةَ الدفع، بانتظاري.

في هذا المكان
يقذفُ الرجلُ دروبَه الطويلةَ في المرأة
يملأها باكياً بالملح

في هذا المكان
تحلم المرأة بأجنّةٍ مفقودة
توقظها بالبكاء الخافت في الكهوف

تحلبُ قلبَ الرجلِ من حروبه الطويلة

وعلى فتحاتها حيث النشوةُ تتجمّد
كنغمة مستحيلة تطفو بصمتها على ثقوب ناي

تسيلُ لذّتُها المريرةُ النكهة
من وقت لوقت
على يديَّ الحجريّتين
عريُها صاريةٌ من الصرخات الضعيفة
أستيقظ عليها مربوطاً بالسلاسل
وليس الاّ العالم الذي خاطته يدانِ من الهواء
يرقص كالدمية على الأمواج من حولي
مؤشراً الي، مؤشراً..
انه يقول
بلغة الاشارات التي يفهمها الصمّ:

لماذا اخلفتَ مواعيدي؟

مرحلة سباتيّة مصحوبة بأضواء

كانوا بانتظارك: الأيدي المشْعرة، البراكينُ المحمولة في الأيدي. والحجارة في الأفواه.

صنّارةٌ في كل شفة سفلى، والخيط يمتدّ الى ثقب مجهول في يد مجهولة لا تسكن الأرض.

الفراشات المسحوقة تحت مطارق الأبواب تطير غباراً، لكنها تصل.

في حلزون الليل، بأنواره كجراحة زرقاء، يخيط الخيّاطُ فجراً لولبيّاً بإبرة لا يراها في مرآة.

والحبرُ ينتظر، حالماً، خلف سدّة مهدّمة ليفيضَ، أعجوبةً، على أحذية الشاعر المثقوبة.

في مسقط رأسه حيث حجرٌ يضيءُ كجبهة نملة، يسقط رأسُه

مرّةً في اليوم.

تبني العودةُ قبرها بشاقول الفرار. تجدُ الصرخةُ نفسها وحيدة. إنّهُ يعودُ مراراً الى نفس المكان.

طريق الى كلمة

حين تصل الى الجذور، ستختبيء منك لأنها تخاف. كن حيواناً هارباً الى المواسم، قلبَهُ الذي يغنّي لعشبة. لأنه يخفق وحده، فراشةٌ تطير حول شرنقة. انت بين الجذور! فليكن لسانك جذراً. قف صابراً في الماء في النار. نمْ واقفاً، على أربُع، في العاصفة.

ستصلُ الى الأرض.

هي تختبيء لأنها امرأة.
تخافُ لأنها عذراء. لا تعرف ما هو العالم. أحلامُها من لا مكان. وجهها جنّة.

لأن في كتفها نبعُ أجدادك حيث خيولهم ما تزال تشرب. لأنها لا تريدُ ان تغنّي في صحراء يديك.

كل حرف محاربٌ يقفُ بلا وجهٍ فوق أسوارها. كلُّ سفينةٍ على مائها، تائهة.

الكلمة تظهر

الكلمة تظهر في دم حيوان يعدو نحو مدينة جرحي. تظهر في ناي سومريّ مليء بالطين، على حصيرة المزارع الحافي. تظهر في وجهي وأنا سكران على مائدة تطفو بين جزيرتين، في بحر إيجه.

تندلع من كأسي نارٌ صغيرة كجديلة طفلة، تدعوني باسمي من أقاصي العالم. الكلمة تبحث عن وجه أبيها لتموت وراء جدار شاهق.

القصيدة، بعد ان انتهت، بعد ان أكملتها وتسلّمت تحياتي بآلامها، أنكرتني.

الثقاب

الثقاب في وجهي، يشتعل، في رأسه قارّة ترتعدُ حيّة، مذنّبٌ هالي، شمسٌ مصغّرة، حياةٌ رأيتُها مثلَ حريق. والى جانبي تنفُسُ امرأة ونافذةٌ مفتوحة على ليل يتنفّسُ عناصرَهُ الغامضة مقابلَ حنجرة. كان رجلٌ قد انتهى من العمل في بستان. وفي المساء طفلٌ على درّاجة يربط مصباحاً يدوّياً على ساقه. مع حركة ساقه الثابتة، كان الضوء يصعد ويهبط، مضيئاً رؤوس الأعشاب وفوقها منجل الريح المتردّد يعبرُ ساهماً بلا يد، وأبوابُ البيوت المغلقة يحصي خلفها النائمون كالبخلاء نَبَضَات ذهبيّة. أدخّنُ سيجارة أخيرة، وأحدّق في وجه الصمت الملتحي بالمجهولات، حتى يظهر منه نومٌ جديد، نومُ هذه الليلة بالذات. صراعٌ مماثلٌ يجري في قطعة الفضاء الشفّافة السريّة المسجونة في اطار النافذة.

تحيّة الى الظروف

كمن يحيّي الظروفَ وهو يغرقُ، وبيدٍ واحدة. وكمن لا يأبه، لا يرهبه شيء، لأنه مرّ، لأنه عبرَ. الجدرانُ في طريقه، وبالنسبة اليه، فقدت معناها، وانهارت حين لم تعد تخدمُ مَرْمى.

الحديثُ لم يعد الاّ مفارقةً.
هذه اللازمة التي تكرّر موسيقاها كقبرٍ للبيع، تربط الأشياءَ بشريط صامت الى قرية قلبه التي يزحف نحو ينابيعها الجرحى.

فكلما خطا خطوةً بعيداً عن نفسه، تحرّكَ كلُّ شيءٍ في موكب قدميه.

أيَام

أيَام كلمةٌ مفقودة تعني امرأة
تعني التقدّمَ، بالعكس، الى الماضي
حيث قواعد عسكريّة تقام سراً وفي الليل
لمقاومة الأشباح
أيام كلمة مفقودة تجدُ نفسها كلّ يوم
غرفةً بعد غرفة
قتيلاً بعد قتيل
دينارٌ يحلم بالهروب من محفظة
لحيةٌ تبحثُ عن قدّيس
مسبحةٌ لا تتبعُ طريقَ الأصابع
غزالةٌ صغيرة تظهر ذات يوم
بين جنودٍ يغسلون سراويلهم في نبْع
يطلقون عليها النار للتسلية
مُقابلَ رهانٍ تافه
ليس له معنى
سوى عند الجنود.

أطعنُ هذه المتاهة

أطعنُ هذه المتاهة
بالقلم الذي يرفض ان يتبع يديَّ
يُطلقُ بضعَ شرارات للاحتجاج، فتطفرُ منها
مدنٌ جاهزةٌ، مدنٌ مليئة
تزحفُ في عُريها الجبري. انها تزحف
مقطوعةً بالخنادق الفارغة، وآلافُ السلالم
تلاحقُ أعناقَها
لطرد المفاتيح من أقفالها في الليل
لإجبار الفجر على الركوع
امام ظلٍّ مسلّح

سُكّانُها: واجمون
يمضون باتّجاهٍ واحدٍ على ضوء المشاعل
تحت آيةٍ بلا أبواب

تسكبُ المرأةُ نهري ذراعيها على المهود المليئة بالحجارة

الآنَ وقد ساطَ الحنانُ دُكنةَ الولادة
تينَها اللافحَ بين فخذيها
الى الأعماق

في أُفقٍ يخفقُ هارباً طيلةَ الوقت
كشراعٍ من الأطفال ليديها
وهناكَ رجلٌ
يحلمُ بعينيها الصابرتين من وراء جدار
يجذّف في النوم بعظمتي كتفيه
في كهفٍ بطيءٍ من الأشواق هو ميناءٌ أحياناً
لا تصلهُ الاّ هياكلُ سفُن
واستغاثات

انه يُسرعُ من بعيدٍ
نحو المدُن التي يسمعُ فيها الصمُّ أخبارَ عُشّاقها
ويتبعُ العميانُ حركاتِ الكواكب باللمس

قضيت أياماً طويلة

قضيتُ أياماً طويلة
أصغي الى مخلبٍ يخدشُ سطحَ الليل
أنظرُ الى حيواناتٍ طويلة الأرجُل تقفُ فوق المحيط
تفترسُ مشاريعَ الأمواج الصاخبة فورَ ولادتها

الى غرابٍ يطيرُ صامتاً كحرفٍ عربيٍّ
بين عمارات المُدن الكبيرة

حتى فرَّ النوم أخيراً من نافذتي
ساحباً بندقيته الفارغة على السقوف.

حتى انزلقت مائدتي
الى الوادي

حتى وصلتُ الى أصابعي منذ قليل
تزحفُ شاردةً نحو ظلّ القلم

وأجبرتُ على الظهور والاقتراب
شجرةٌ من الأرقام
نجمةٌ
شيئاً عادياً
ليس له آباء

في تلك اللحظة
أصبحُ عباءة فلاّح
أصبح عظمةً مقدّسةً على مائدة
مثلّثاً من الأعصاب يهبطُ في الوطن

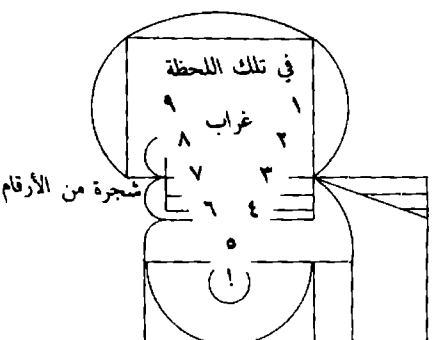

في تلك اللحظة
أصبح أيةَ عباءة!
أيةَ أمسيةٍ من البرد
تنحني على كنوزها المزّيفة
أيةَ حياة تنهارُ على متاريس يديّ
ضامرةً بعد أسفارها الطويلة
في ذلك اليوم
جميع أحلامي أتّمت خروجها
من الأعماق، كالاسفنج حين يهجر الأعماق
الى اليابسة. جميع أفكاري على اليابسة
تحنّ الى الأعماق
كالاسفنج حين يملّ اليابسة فيهبط الى الأعماق، في
ذلك اليوم! بينما أوهامي حقيقيّةٌ لا تفنى
حتى بالنار
والطاعونُ يُزيدها حكمةً
وسوءُ الفهم، يساعدها في الوصول الى المعنى

كما وصلتُ أنا اليوم
الى هذا السرير الضيّق من الخشب
في فندقٍ رخيص مليء بشارات الصارخين.

أسرار شعبيّة

أجلسُ في سحر المساء. الأوهامُ لا تنطفئُ
قربَ الأشجارِ
بل يزدادُ بريقُها قسوةً
الغابةُ ساكنةٌ بوداعةٍ ينهبها الهدوءُ فجأةً
من وقت الى آخر
بعواءٍ مُتقَطّع مركّز وطويل يجعلُ الأبواب
تحلّقُ للمرة الأخيرة
ثم تعودُ للمرّة الأخيرة
بوداعةٍ تسبقُ حتى المعرفة

لو انني كنت فيك الآن
أسيرُ واثقاً بأخفّ ما يمكنُ للمسة ما
ان تُسقط نفسها على أكثر الأشياء فقراً:
حيوانٌ مهدّد بالانقراض
فاكهةٌ تتبعها بذورُها اليتيمة

لو انني كنتُ فيك الآن كتاجٍ من الانتصابات
يتبعثرُ في كل اتّجاه
او يصعدُ بنايةً من الأنفاس في ليل
مشنقةً رحيمةً، منصّة

لو انني كنت فيك
ولكن من الواضح أنّ النسيان
لن يؤخذ الا حيّاً. كصيحة تنطلقُ من مسدّسٍ ينهار
في سحر المساء. تحت الجبال
ملعقةٌ مهجورة في خيمةٍ عسكريّة
راديو في منتصف الطريق
هذا كلُّ شيء.

لكنّ هذا ليس كافياً!

أسرارٌ شعبيّة:

ها هو البطل يتركُ الحانةَ السريّة
تتبعهُ عدّةُ تماثيل

ها هو القدّيسُ يخرجُ من كهفه
مجهّزاً بحفنة من البارود، بخارطة السماء
بعد ان تكون الأمطار قد جاءت
بعد ان تكون قيمةُ الحب قد فاضت
بعد ان تكون قطرةُ الدم الأخيرة
قد سقطت

بعد ان تكون الأهرامُ قد وصلت
الى عصور اليد الوسطى
كنسبة التضاؤل المتفاقمة باستمرار
بين الـ(ا) الذي ينزلقُ من يد امرأة
والامكانيّة العارية لحياة مسدّدة الى الذكرى
من الواضح أنّني وحدي
ومن الواضح انني لستُ وحدي
كعاصفة حائرة تواجهُ تنقّلات إبرة
بين منارات معصوبة بأحلام الشرايين
لا تخنْ زمانكَ بكثرة.

قصيدةٌ في كلّ لحظة

( )

في كلّ لحظة
يطردني اللهُ من حديقة.

مَصارع العشّاق

أيقظوا العاشقَ الذي انقلبَ الى جدار
من كرسيّه في جنّة الصدمة
أيقظوا عاشقَ الانعكاسات هذا
لأنّ المرأة
ذاتَ الجبين الذي يصطادُ قلبي في أبعد الضفاف
تريدُ ان تُعطيه هذه القطرة (.) من الصمت
والكذّابُ الذي أدار وجههُ في النهاية
نحو فراغ الحقيقة بقُدْرة
ليسَ الا كذّاباً قديراً
يعرفُ تفاصيلَ مهمّة: أيقظوه!
إنّه يتكلّمُ بألسنة تجترحُ خرافات آتية
ولكن بصمتٍ وعن شيءٍ لا عَلاقةَ لي به
كالقطار الغريق بركّابه جميعاً
في بحار لن تستسلم لي بسهولة
ربّما هذا هوَ
ما يسمّونهُ بالرغبة القاتلة

عندما يكونُ الصراخُ في أذُنٍ مِقْصاة
كالهجوم القسريّ على عذراء خياليّة.

سَردين

أغريها بحجارة موشومة (خرز أزتيكية مزيفة صناعة المكسيك) وبكلام متداول لا بدّ انّ الثعبان الماكر في الجنّة كان يحفظه عن ظهر قلب ليتلوهُ، في اللحظة الحرجة، على حوّاء الجميلة. كلامٌ يخرجُ من فمي بسخاء كأعذار رجل محتاج. أقول لها أنّ الثلج يغزو سريري من النافذة. اخبرها عن كوارث، عن كوارث معيّنة تقوم كالسور حول النطفة الناريّة البيضاء التي هي شوقي اليها. شوقي الذي يحفر بئراً جديدة في كلّ ليلة. اليها. الى يديها وقد طلّقتا فراغهما أخيراً. الى جميع شفاهها: أدمنتُها.

فتقبلُ، بعد تردّد، أنْ

ودونَ احتفال، بصمت متبادَل، نترك لجسدينا ان يتبرعما بسهولة قرب كلّ انفتاحة في ذكرى الأشجار، الولادات الناقصة، وبستان الشيرازي. نترك جسدينا وحدهما. نتركهما بتيّاريهما من النبضات التي استيقظت متشابكةً،

بخمول، كأسطولين من السَردين الجائع.

سردين. بعد تردّد. خفقةً فخفقة.

أنت التي

انت التي سأكلّمُ في مثل هذه الساعة المتأخرة، المرأة التي قلّما أتذكّر، ولا أذكر، هل كنت حقيقية؟ البلدةُ التي عشت فيها، تظهرُ لسببٍ ما على جلدة ذاكرتي الآن. بقعةُ حبر تنتشر على ورقة، زيتونةُ ليلٍ ناضجة. وأذكرُ كيف كنتُ أراك دائماً تسافرين على حلمتيك الناضحتين بالحليب من ليلة الى ليلة. وأنا أتبعُ خيمةَ شَعرك الى وديانٍ ملتهبة، وديانٍ من أقلعوا عن الطراد اخيراً وأخوا رائحةَ الفريسة. اعتذرُ عن اختفائي الغريب.

اتركُ لكِ نافورةً من ثقوب النسيان، شيئاً بريئاً حتى من الذكرى. هذه الاسفنجةَ التي كانت قلباً.

فأنا عندما ظهرتُ من قلب المسافات كالأعمى، كنت قد أتيتُ لأسجّلَ حيرتي بأسناني في جلد أيّامك الناصع، ولأطوفَ بلا وزنٍ كريشة
في متاهةِ جنسك التي استقبلتْ طوافي.

رغم انني أتذكّرُ الببّغاءَ في قفصها على النافذة وجديلةَ ابنتك الصغيرة كقوسِ قُزَحٍ في الظلامِ ما زالَ يجعلني أبكي.

الحمّى

تجري الحمّى بتردّد أوّلاً
لكنّ التردّد وكما يظهر فيما بعد
كان نذيراً، زائفاً، حيلةً سرعانَ ما أفردتْ
تفاصيلَها، كأحشاء آلة عتيقة، تحت عينيه
وهو يخوضُ، وحده، بصحبة القدر
خنادقَ الحمّى التي تستلقي فيها فكرةُ
الاحتراق (الماحق، الكامل) كتجسيد
عارٍ لرغبة لم تعد دفينة:
الماءُ بعيدٌ
مثل كهف بارد تركه في سفرة عابرة
على حافّة بلدة لم يستيقظ فيها احد
عندما مرّ حاملاً صرخاته، أمتعةً رخيصة
والراحةُ حماقةٌ، ترَفٌ لم يعد يحتمله نحولُ العالم
وكأنّهُ يذوبُ متعجّلاً في كلّ نبْضة
ليسيل الى وديان صدغيه
بينما يُصغي من بعيد

الى بلبل الامبراطور الصناعي
الى غانيات نائمات في حدائق مجهولة
تنسجها في النخاع أمطارٌ إبريّة

ومنذُ الآن يحلم

إنّهُ يحلمُ منذ الآن بوجهه المحطّم
منقوشاً على نقود المملكة التي أضاعها برَمْيَة نَرد.

هولاكو يمدح نفسه

أنا هولاكو
بحرٌ من الأعشاب تقطعه الخيولُ بصمت
سنابكُ ناريّةٌ تطرقُ على ليل المدن
انني فكرةٌ في رأس الحجر
لسانُ القدر وقملةُ الله
الحربُ عذراءُ في خيمةٍ ممزّقة
والصمتُ أحد أعدائي
أنا هولاكو
بحرٌ من الأعشاب
تقطعه الخيولُ بصمت
سيفٌ يكره الانتظار في غمْده
تحت أسوارٍ تحلمُ بالغربان
أسوارٌ، أسوار.. يراني اللاجئون
في أحلامهم بين الخرائب
ويشحذُ الأسرى قشّةً صغيرةً من حصاني

٧ تعريفات

القلب: كوّةٌ تحت الضلع الثاني
غيرُ صالحة إلا للكسْر

الأرض: تنتظرُ الحرائق
مفتوحةٌ دائماً للإخصاب

السماء: نوعٌ من الحجارة
منجمٌ وهميّ
لاستثمارات غير محدودة

النهار: لونُ الأرض السرّي

اليد: منبعُ الرسائل والاشارات
منجنيقٌ حيّ في حالات الطوارئ

الموقف: مهما ابتعدتَ

الى أيّة بلادٍ بعيدة
ستصلُ الى قلبك في النهاية
حيث يتدلّى الجرحى من النوافذ
حيث الجرحُ يحتقرُ الرصاصة

والآخرون: وطنٌ دائمُ التنقّل لا تنقصهُ الحجّة
ليصفعكَ في كلّ مكان
بتجلياته الألف

محاولة للوصول الى بيروت عن طريق البحر

ذات مساء بعيد
بينما أهرّبُ نافورةً بين الخرائب
أو أرشو ليلةً بقصيدة رديئة
تنزفين أنتِ
في خنادق الهدنة الباردة
بجباهك الألف
أردتُ ان أفرش طريقاً بسجّادةٍ من أنفاسي
الى حيث ما زلتِ واقفةً:
متراسُكِ هيكلُ حمامة
وجهكِ جنّةٌ جريحة
أردت ان احترق بين يديك قليلاً:
لا مكانَ يحلمُ بوصولي
والحياة
طريدتي الخائفة:
عندما تفتحُ عينيها
تستعدُّ كلُّ لحظةٍ للولادة

في مهْدها الطافي بين عظامي
أستيقظ بعيداً على مياهٍ أجنبيَة
وحياتي تتحصّن ضدّي

وكلاءُ السفر ينظرون اليّ باستغراب
عندما أسألهم عن السفن الذاهبة الى بيروت

لكنّني أترك بيريا بعد يومين
بيريا: الميناء الذي يصدأ فيه الأنبياء
ولِحاهُم تهبُّ على المجانيف
وشارعُ سقراط في أثينا
حيث تجلس بغايا جانعات في أعتاب الفنادق
على صناديق الشحن الخشبية التي استعرنَها من
أصحاب الدكاكين

في ثغور المتوسّط وبحر إيجة
الريح
أرملةٌ عمياء
لا تبحثُ عن أحد

لكنّها أحياناً تمرّرُ يديها
كورق السنْفرة على مداخل قلب
حيث يتجمّعُ ملحٌ أحمر، حيث تتوقّف

الفجرُ يعبرُ الجسور، مقنّعاً، في تلك اللحظة

وبينما أقول للحياة: أُقسم انني لن أؤذيك، اقتربي!
تصعد بيروت كلَّ ليلة
كصرخةٍ مفقودة
من عين القتيل الشاخصة
أو تسافرُ خلسةً كشمعة الفقر
بين السلالم المسنَدة الى جُدرانِ صدري
وبينما أقول
لا تفعلي شيئاً واحداً في غيابي
أرجوك يا حياة، وبوثبةٍ واحدة أريني
بطنَك المثقوبَ بقنّاصة الهاوية
تقولُ بيروتُ في الليل
للّيل:
عليكَ ان تذهبَ الى حافّة القلب

هناكَ سأكونُ كلامَك
عليكَ ان تلعق هذه العَظمةَ الباردة
حتى تضيءَ ليلكَ بعُرْيِها

سافرْ
حتّى يتصاعد الدخانُ من البوصلة.

أثينا ١٩٧٩

إل سالفادور

هذه الأغنيةُ التي
تجدلون لها حبلاً طويلاً في الخفاء
إنّها ستستمر.
سنكتبُ التاريخَ هذه المرّة
بأقصى ما يمكنْ من الحذَر.

أيُها السادة
ماذا فعلتمْ بالعالم؟
أخاطبُ المجرمين الكبارَ بينكم
أولئك الذين يسكّون نقودَ الأرق
للشعوب الصغيرة
مسلّحين
بالديدان والدولارات
بصواريخ بيرشنغ ووكالات الأنباء

مَن الذي أوكلَ اليكم بالعالم، بأيّ شيء؟

مَنْ أنتم؟

أفعال مختارة

ستتعلّم: هناك تحت جلد الأساطير، تحت ركام كل شيء، أفعالٌ مختارة. أفعال اختيرت لك وحدك لتتبعها بدقّة.

لتكون الشرك الذي تنتهي فيه بأمتعتك اليومية.
السلّة التي تمدّ اليها يدك بحثاً عن بيضة لتجد رأسَ الثعبان المزركش بالنيون.
هناك ستعبرُ مفترقَ مصيرك الى صحراء يحتلّها الصُمُّ بآذانهم، والعميانُ بأسلحة اللمسة الرخوة.
الصحراءُ التي اشتهرت بذئبها الذي لا يُصاد وأنتَ بالصدفة الزائرُ الذي أدركه الليل.

بعضُ المياه التي تشربها في السراب
ستكونُ مالحة.

آنذاك ربّما امكننا ان نتحدث بلغة الاشارات الصادقة، لغة الحاجة.

نصغي الى نواة الصوت، تتساقط فيها شلالاتٌ طويلة من الأجداد، الهادرينَ خلفنا بمسافة شبر. أي بكلمة:

هيّا، تشخّصْ بي

ومن أجلك سأذهبُ الى أبعد ممّا تحملني قدماي

ربّما أبعدَ من ظنّك في قدرتي على الذهاب!

لأعرفَ ولتعرفني. لأعترفَ وتقبلَ اعترافي.

يمسّنا جناحُ الخطر بحدّ ريشة

كمن يغنّي في الظلام من الخوف.

كانت لديّ خططٌ مضمونةٌ تقريباً

لكنّني

عندما خطوتُ الخطوة الأولى

تداخلت كلّها بمفعول الصدمة

وها هي قدمي الأقوى تتقدّمُ مسحورةً بالجدران، بينما قدمي الأخرى ما زالت تتردّدُ في المهد.

عيناي مثلاً

تمضيان في القراءة

حتى بعد ان أغمضهما
كأن المعركة انتقلت الى داخل التُكْنات.

وبأسرع مما تستطيع ان تقرأ الجملةَ الآتية
يكون المستقبل قد عزفَ مقطوعةَ الماضي كاملةً
على جميع مفاتيح العالم الغريقة
حتى قبل ان يجدَ يديه.

اذا كنت تعرف

اذا كنتَ تعرفُ كلَّ هذا
لن تبدأ من الصفر على الأقل

ابدأْ. مسِّدْ هرَّةَ الأعمى بيديك. اجلسْ مع الأطفال.

ها هو النهار تحتفلُ به حتى المائدة
بغطائها النظيف
بكوبها الذي فقدَ نصفَ ذراعه

ملامحك القديمة تحاولُ العودة حسب شروط منسيّة بينك
وبين النسيان، وتستعمل أغطيةً مسروقة لهروبها.

عباءةٌ مطليّة بفضّة المرايا تتحركُ بشكلٍ مريب
في أسفل الوديان.

إنها الماضي.

أعطي هذه البرهةَ لحالات استنفادي
أعطي هذه البرهةَ من الرمل جلالها اللازم، فتحلبني
حتى الجفاف.

وأكونُ على وشك ان أستدير عن وجهي
عندما يسقط أحدُ أجدادي من المرآة.

قصّة

فجأةً بالصُدفة وبلا إنذار
كانت المائدة
قد اختفت والضيوفُ تفرّقوا
وانهمرت على السقف مع المطر
رصاصاتٌ مجهولة
تحقّقُ وعودَ النقمة بحذافيرها
او تعلنُ بدء عُرسٍ قرويٍّ صاخب

ووجدتُ نفسي
وسطَ مدينة لا يعرفني فيها أحد
أروي للغرباء في مفترقات الطُرق
قصّةً لا يصدّقون منها حرفاً واحداً
وبعضهم يحدجني بعيني ذئب
بعضهم يرمقُ أحذيتي المهترئة
وبعضهم لا يراني

كأنني عريتُ نفسي حتى العظام
او بحتُ بسرٍّ خطير يبعثُ على الرهبة.

ثم بدأ الثلج يتساقط على العالم.

ليلة في انسينادا/ المكسيك

كلّ ساعة قضيتَها، كلُّ نائمة
وصلتكَ من جبال الحيرة
فقيرٌ يطالبُ ببدلتك القديمة
في زقاقٍ بلا مخرج
أفُقٌ طافٍ
ينصبُ كراسيه المصبوبةَ من عظْمةٍ واحدة
لك وحدك
سكرانُ كريشة الموسيقيّ
يعزفُ على شرف السكين
بأمرك السرّي
لكَ وحدك
كلُّ ساعةٍ تسلخ نفسها مجّاناً
بمُدية الجوع المتوارثة، من أجل ماذا؟
ربّما
لكي يصفو
ذلك الوهمُ الهزيل

صبّارةٌ جديرةٌ بصحرائها
قلباً
يرتعدُ في قنّينة التيكيلا

تلك المرأة الوحشية وهي ترقص في حانةٍ مقفرة
في بلدةٍ قتيلةٍ كجلد أفعى:
ـ سنيور، لقاء خمسين بيزو
أقسم لك انها عذراء، سنيور! يمكنني
من أجلك... هذه الليلة...
ربّما من اجل ذاتها
طريقاً
تشيّد نفسها في خدمة رحلة
أسطورةٌ أكلت عينيها آلهةٌ عقيمة
وثعابينُ مريُشةٌ تطيرُ على السقوف

الفقْر
يضربُ ناقماً جدرانَ التراب
في ملاجئ عينيه
كلحيةِ مُزارعٍ يجلدهُ الجنود

طائرٌ

ينبح شجرةً

بعبوره، يختزلُ آفاقاً

ـ أنظر الى أهرامنا سنيور. المايا

جاؤوا من مصر، لا؟ هنود الأزتيك

سومريّون قدامى.

بابليّون عبروا المحيط

بقوارب البُردي

لقاءَ خمسين بيزو...

لقاء خمسين بيزو فقط!

قصيدة أخرى

نهاية ١٩٧٧! كنتُ هنا ولكن في زمن آخر. قصبةٌ أخرى هربت بها الريح الى ثكنات الصمت المسوَّرة بالتماثيل. هربت وهي تطالبني: أين ملحمتي؟ خيولي وأبطالي؟ كم ليلة أخرى لأكسر أكتافك الهزيلة؟ لم تتعلّمْ مفاداتي! أسرع الى بلدة جديدة اذن. هيّا، خذ اليها حيرتك المغرمة بالحقائب.

الأبوابُ كلّها مغلقة

ومفاتيحك العتيقة لن تجدي هذه الليلة!

هروب قارئ الكف

توقّعوا هروبَ قارئ الكفّ
من باب مصيره اليوم
الى مزارات الحفاة الشبقة بعاصفة واحدة

الشعبُ داخل أبواب الخرافة
شاهدٌ على التكوين
انه شاهدٌ على القذيفة التي تأتي من خارج الأسوار

توقّعوا إلآلهَ العصفور
ربّاناً مقيّداً بالأمواجِ الى الرحلة

القائدَ الذي نهض سيفُه في الفجْر
وبعنايةِ أخْصاهُ

شتاءً طويلاً من الحكمة
حكوماتٍ تسقط من السقف

توقّعوا آفاقاً
نهشتْ نفسها بمشط مغنّية
بغريزة الحيوان الأعمى وآليّة الحتْف

الدم
يكتسح هَرماً من تماثيلَ حول بيتي
ويجعلني
أسيلُ من عُرْف الديك
ببطء القيامة

ويجعلني أسيل كقطرة الصبر الأخيرة
ويجعلني أسيل بعيداً عني بعدَة أصداء
لأسبقَ وصولي بلحظة.

رسالة من هوليوود

الى صلاح فائق

عزيزي صلاح
في الشارع بين براميل الزبالة
ينامُ الموتى واللصوصُ معاً
في هذه القارّة المسروقة
وفي هذه الساعة المتأخرة
يدخل المقهى هنديٌ طويل
قتلوا حصانَهُ الأبيض
ولوّثوا أنهارَهُ الجميلة
بينما ممثّلٌ عجوز يواجهني بصمت
وعلى المنضدة
يضعُ بقايا مسدّس
نجا من أيدي الأهالي بأعجوبة
في الحروب الاستعماريّة الخاسرة

الهنديُ حزينٌ هذه الليلة

تسيلُ من عينيه سهامٌ مجانيَة
ويداهُ بلا هدف

انه يطالبُ بانتباهي المطلق
مقابلَ اكتشافاتٍ مخيفة.

هناك

وجدتُ نفسي في هذا البيت
تُديرهُ امرأة تختفي طيلة الاسبوع
هائمةً على وجهها بين الأنهار. حين تعود،
تربط قاربَها الى رِجْلي وأنا نائم
وبصمت ثقيل
تجرُّ جسدها المخدّش بالمخالب الى سريري.
في الأزقّة حيوانات أطلقوا سراحها
أخذت تزداد جرأةً مؤخراً
وتهاجمُ المرضى والأطفال
هناك أخبارٌ وشائعات: يقولون
ان مجاعةً كبرى، أنّ الطاعون، أنّ المجازر...

وعندما يصلُ الفجر في عرباته المليئة بالذخيرة
يضربُ جيراني برؤوسهم على الأبواب
علامةً على الطاعة
أو الألم الذي لا يطاق.

الى صديق

في تلك الأرض
تسكّع قلبك حتى صارت الشوارع
شرايينهُ الجديدة
مريضاً من حبٍّ
ما لا سبيلَ الى حبّه
ولكن مريضاً من ذلك الحب

فوق آخر صخور الرحلة
أردتَ من الريح
ان تجرّد الغرابَ من ألقابه الفخريّة
من ملفّاتِ أينَ ولماذا

حلمْتَ بالوطن أحياناً
أردتَ ان تدفن أقدامك في لحمه الى الأبد
وترى الجبالَ بعيون أطفالك

هل أحببتَ الريحَ الى هذا الحدّ؟

كلما خطوت خطوة

كلما خطوتُ خطوة
انفتح بابٌ في وادٍ بعيد
اجلسُ لأستريح
فيصعد الى الأفق رجلٌ ملثَّم
يشقّهُ بأظافره كحذاءٍ قديم

تسلخُ النبوءاتُ
على الأرض جلودَها الرطبة
وهناك كاهنةٌ جميلة
في بستان التاجر المخرَّب
تُخصبها آلةٌ قديمة تنمو من الأرض
جنكيزخان
عاد الى سرقة الخيول
والأرامل تحت جنح الليل
العروسُ مجهّزةٌ كالقارب بانتظار المجذاف
حاجباها المزجّجان يخترقان المجهول

بحثاً عن البعْل
كقوسين يحرسان فتحتي عينيها
حيث ستولد سهامُ القبيلة السبعة

أتبعُ كأساً طافيةً بين يديَّ
تدلّني الى حانات صامتة
لا يشرب فيها إلاّ الجرحى.
في صدري
مائدةٌ محطّمة
سكّينٌ شاردةٌ تقودُ اليها ضيوفي
من أزمنة الطوفان

أمشي ويداي وراء ظهري
أداعبُ قيدي كمسبحة من الأصفار

يهدرُ المغولُ من ورائي
وسيوفهم تفتحُ الأمواج

أمامي

تقفُ الأبواب
وحيدةً بلا بيوت
يصيح بي صوتٌ عابرٌ من وراء الأسوار

عُدْ الى حيث كنت عُ دْ
من حيث أتيـ
ت
أيُّها الأحْـ
مقُ عُدْ!

ولكن يبدو ان العودة مستحيلة.

كهوف

حين أزحتُ شعرها الطويل عن جبينها، فتحت المرأة العارية عينيها، نظرت الي وأنا احدّق في عينيها الخائفتين حتى الكهف الأخير من أراضيها السحيقة. بعد لحظة، اكتشفت انها عمياء لا تراني الا باللمس. اكتشفت اننا لسنا وحدنا في الغرفة، ان الطرق التي سرنا عليها منذ الولادة، انذرفت من جسدينا، في نظرتنا الأولى، والتفّت حولنا كخارطة مجهريّة: العواصمُ الوحيدةُ المأهولةُ فيها، نبضاتٌ وثبت باختيارها ما وراء، أسوار القلب، وثبت عندما دعتها الهاوية.

كانت أرضُها أهوار الملح. كانت أغوارها دسكرةً للذئاب الجريحة. وفي تلك اللحظة، رأت المرأةُ العمياء وجهها يهربُ بالمرآة وحده، شرقاً، ورأتني لأوّل مرّة: وكنا عاريين في أرضٍ غريبة تستبقينا بعينيها، بينما تطردنا يداها.

أوروبا

على طريق النُطفة التي تريدُ ان تُغرقني
أنرعةُ الغرقى ترتفعُ مقدَماً
كلُ أربعاء في روما
بينما البابا يخطب كالبَبغاء من شرفة الفاتيكان
للحمامات الرماديّة بين سيقان الراهبات
تسحرني مظلّةٌ يابانية شفّافة
كجسد خفّاش بهيج يوحي بالفرح أخيراً
او قبّعة قسّيس (لا مظلّة له) مصنوعة من الصحف
أحلمُ أوّلاً
بأنني أهرّب عروساً في دروشكي سريعة
عبر جبال القفقاس، بينما
عاصفةٌ ثلجيّة تُعيدُ ترتيبَ السفوح من جديد
في وادٍ ما.
هناك أيضاً حدائقُ ذابلة تنبتُ فيها السكاكين
قارّات سُرقتْ كاملةً!
مفاتيحُ الطوفان في ركّب الغرقى

في داخل كلّ معمل كنيسةٌ جاريةٌ من العرق
حيث العبادةُ آليّة
ولكن الى المزبلة بحكمة نوي العاهات
لقد حان الوقت

نجومُها التي لا تجرؤُ على الاحتراق
إلاّ اذا حلمتْ بسعر الاضاءة

أن يظهر الجرحُ قبل الطعنة
ان أفهمَ اقتصادَ الغريق والقشّة
في مناقشاتٍ مثمرة
يلعبُ فيها المنهج لعبتَهُ الانتحاريّةَ بانضباط
وبينما الرجلُ يتكلّم
اكتشفُ انه نائمٌ منذ أيّام!
وفي قطار اسمه موتزارت
نسيت غليوني، في الطريق
من هامبورغ الى كولونيا حيث كان العائدون
من مباراة كرة القدم قد شكّلوا مظاهرةً
للاحتجاج في الغروب على الخسارة لفريق «تبليسي»

متدفّقينَ بضراوة تحت ظلّ الكاتدرائيّة العميق

فندق في ميونيخ
دماغي (ناعورةٌ نامت ثيرانها) يرشح على مخدّة

غداً: جبالٌ نائية، أنأى ما يمكنُ، نائية بقدر المستطاع
وفي تاريخ قادم سأبلغُ وطني
أو أجلدُ صارخاً قطعانَ الجسور

لا مطرَ في اسبانيا لأكثر من سنتين
في باسيّو دل برادو بمدريد
النوافيرُ الصامتة كالعظام تبصق الهواءَ الميّت
ولكن في غرناطة (تحيّة ايها الأندلسيون!) حيث تمتدُّ
الأنابيب
من جبال السييرا نيفادا المتوّجة بالثلج
(والتي بناها العرب منذ ألف سنة)
ما زالت نوافيرُ قصر الحمراء تتدفق

«نعمدُ أطفالنا باللعابِ هذه الأيام»

يمزحُ اسبانيٌّ بكآبة

من الراديو.

مساء في قارَة مسروقة

هذا هو ما يحدثُ اليوم
بين سكارى المساء الذاهبين الى منفاهم في الكأس
حيثُ يُحتملُ ان تختبئ فريسة
ان يلتهب عالمٌ ما
منسياً كمصباحٍ ملطَّخ بالوحول
يتّقد في النهار.
أخرج في المطر باحثاً عن جريدة
لأقرأ عن كاربوف وكيف سحق كورجنوي في الشطرنج
٦ مقابل ٢
مذبحة

حتى اليوم كان العالم واضحاً
(من هنا ارتياباتي الطويلة) مصقولاً
كهذا المساء
بانتظار الثقوب، طعنات
غير متوقَّعة، بكاء يتردّد في أروقة

(ربَما هذا هو التاريخ)
ليدمى أخيراً، في كمينه الخاص، من الجنب

حتى اليوم
ديونٌ غير موفّاة
إناثٌ مغمورات لا يعرفن الشبق الاّ في نهاية دهليز
تحت ركبة الليل الثقيلة
شرفةٌ تنهارُ على رأس سكّير
جسورٌ من قطرات ومن سلاسل
شارعٌ مقلوب

تسحرني حليةٌ (رخيصة ومبهرجة عادةً)
على صدر امرأة عاديّة
أو معجزة: رجلٌ ينهضُ من نومه في كل مرّة

لكن الجريدة ملقّنة ١٠٠ بالـ ١٠٠

(ستالين ما زال حيّاً. ريغان
يصرُّ على ان الشيطان من أصل روسي)

مُشَطت أخبارها مقدماً
(يشرف على قسم الأمشاط جيشٌ تجاريٌّ من الصاغة)
كُشطت احشاؤها بسكّين التسلية
كالسمكة الميّتة في مغسلة المطبخ

الليلُ يمكنُ انتهاكهُ والاعتداءُ عليه
من مسافاتٍ بعيدة
كالكهوف الرماديّة في عيون الفقراء
في شجرةٍ من رماد طيرانٌ أعمى لطائرٍ مفاجئ
يبعثرُ الشموسَ في كل اتّجاه
سيّارةٌ معطّلة
مسبحةُ الأيّام السريعة

وفي هذه الأثناء
عشرُ سنوات من تلميعِ قامة الصمتِ بالصراخ
حزمةُ رسائل من معذّبين
برقيّاتٌ خياليّة
شهوةُ التجوال الطواف
وارتعاشاتٌ تجدُ أجسادَها بمشقّة

إنه وقتُ الوقوف تحت نافذة
لا تنادي الغريب
كنهايةٍ بائسة لعصرٍ حافل
وقتُ تصفية الحسابِ في البارات
قطعةُ النقود الأخيرة عندما تغادر الجيب

لم أشترِ العالمَ في هذا المساء
لم أدخّن جمرةَ النسيان.
قرأتُ عن كاربوف.

قصيدة عندما تنطلق صرخة

عندما تنطلق صرخةٌ من نافذة
كطائرٍ خنقته الريح
عندما ينامُ عدوّي وقلبهُ يحلم برصاصة
أسيرٌ على طريق غير معبّدة
مفكّراً بجملة
يسبحُ بين عظامها ذهبُ العميان

بحرٌ يخفي سواحلَهُ بستارة
وأبوابٌ تفترسُ أقدامَ المتاهات

قبل ان يندفع الليلُ باتجاهي
حيّةً جميلةً
يطاردها فلاّحٌ نائم بمذْراة الحصاد

الدمُ يلمعُ، لحظةً، على قصدير السقوف
وسفّاحُ الغروب يهربُ بين الأزقّة

بشفرةٍ قديمة من الذكريات
بشفرةٍ قديمة جداً
لم تعد تخيفُ حتى ظلّها

من آخر العالم كان نسرٌ يطيرُ
ليفقس بيضةَ المستقبل البعيدة
وكنت على وشك ان آخذ
فاكهةَ الرغبة في يديَ
من الشجرة التي تهمسُ بعيداً
في أحلام جريح

عندما اختنق الراديو بموجةٍ من القتلى
وفاجأني الأعداءُ في سريري.

صندوق

تقدّمَ من معذّبيه
بعينيّ سكران
جميعُ الأحداث النائيةُ والقريبة
لا تخبئ فيهما إلاّ هذه اللحظة
محمّلةً بالمحاريث المدفونة في جبينه لفلاّحي المستقبل
وجيبُه الممزّقُ
حتى الكاحل
ولسانُه يمرُّ
على مدُنٍ مبقورةٍ بنصْل النوم
في أسنانه الآن هذه القطعةُ من الأرض
كان يسمّيها أرضَ «مثلاً»، أرضَ «ربّما»، الحبُّ
الواقعَ في أحبولة الأنوار
عيونَ الآخرينَ، والسيجارةَ الأخيرة
عضّ أخيراً
وكأنّما على حبّة الجنّة المسمومة وقبل ان يُغمى
على الأرض كالمحظيّة

في فراشها المعطّر بعَرَقِ الجنود

بين بقاياهُ التي ذهبنا لنرثها من السجن
هذا الصندوق الذي تقبعُ فيه كالذئب تحت المفتاح
حياتُه التي ارتوتْ من الصدق:

مرآةُ الحلاقة بليرةٍ واحدة
تذكرةٌ ممزّقة الى مكانٍ مجهول
تنتظرهُ فيه ربّما
امرأةٌ ملثّمة على نهر
الحجرُ الذي يختزنُ طفولته كالدفء
في راحةِ اليد
او الشجرة التي جلسَ تحتها يوماً مثلاً
وأصغى اليها وهي تبتهلُ للفأسْ

جلاد

أيها الجلاد

عُد الى قريتك الصغيرة

لقد طردناكَ اليوم، وألغينا هذه الوظيفة.

قرية

الباعة المتجولون وأصحاب
الحوانيت الصغيرة قتلوا المختار في الليل
مما اضطرّ بقيةَ الجياع الى بيع ذهب نسائهم وجاؤوا بالمئات
والآلاف
يرشقون خوذَ البوليس بالحجارة
بالطحين والزيت والسمن والسُكّر والحليب
والأرز والعدس والحلويات والمعلّبات والصابون والحرامات
والفرش والشراشف والألبسة وأغذية الأطفال
وكلُّ بندقيّة تدخلُ القرية
يُقامُ لها عرسٌ صاخب على ضوء الفوانيس
قلبوا حسابات الأعداء
ومع ذلك
ظلَّ مستنقعُ الأصوات المتخمة طوال الليل
يصبُّ في بالوعة الخيانة.

أيد تلوّحُ بين النيران:
أيّامٌ حافلة!

تتّخذُ الدوّامةُ مقرّاتها
في أرجُل المطارَدين
والطرقةُ على الباب دعوةٌ
الى يوم القيامة
هذه الجموعُ التي تُساق الى الهاوية
بحدّ حَربة
تعرفُ أن العهودَ السابقة كلّها
مزوّرة
ونحنُ على مسافة صرخة
من الحريق

الحبّ
يفقأُ عينيه في كلّ مكان

دائماً على استعداد ليُرمَى بالحجر
بالكُرة بالقذيفة
وفي أية لحظة
قد ينفجرُ الصمتُ بين يديك

كيف تقمّص العدوُ
أوهامك الجميلة
وسكنَ المرأة
التي تحاولُ اغراءها؟

من فتح الأبوابَ للجيوش في الليل؟

أيّامٌ حافلة!

أيدٍ تلوّحُ بين النيران!

لن ترتاحَ المطرقة
حتى يختفي آخرُ مسمار

غداً

سيعلو الهتافُ والتصفيق

لكن الخطيب لن يبلغَ المنصّة

بليلة واحدة

ولماذا الخوف؟ قبل أيام اكتشفتُ انني اكثرُ حريّة من أيّة طاغية، وانني ببعض الجهد
قد أُضاهي النملةَ في نُبْلها!
رغم انني اعترف منذ الآن، انني كسلان ولي نكاءٌ من الدرجة الثالثة اذا قورنت بالنملة. لأن الدقّة التي تعبر بها من مكان الى أخر، وحسبَ اجراءات كاملة متّفَق عليها بين الجميع، فوق طاقتي او صبري. بهذا القياس أفشل، رغم ان لي مزايا أخرى قد لا تكثرث بها النملةُ مثلاً.
انت كذلك مثلي، حرّة وأكثر من طاغية يشعر منك بالغيرة.
معاً، نشتري الأبديّة بليلة واحدة.
يجدُ الأخرس فماً يترجم له العالم، وأصنامُ القوّة تدخل منفاها الاختياري.
ذات يوم كان آباؤنا قتلةً للعمالقة
تذكّري هذا.
الخوفُ مجرّدُ كلمة.
وبينما فيلة هانيبال تتسلّقُ جبالاً

او تحترقُ قرطاجة
نقفُ في الوادي أنا وأنت
هناك
في الثلج
حيث المغولُ يجرّونَ المنجنيقات ثانيةً.

وقفَ على رأسي كالطير
كان ظلاً
ظلاً تخترقه طيور الخطّاف
جيئةً وذهاباً وبسرعة
كأن كارثةً تنضجُ او عاصفةً
تستيقظُ بكسَل في ذاكرة البلدة
لأنني كما أذكرُ كنتُ
في بلدةٍ مجهولةٍ ذلك اليوم
وفي تلك اللحظة
كان وراء كتفي
تخترقه مذنّباتٌ ضعيفة
تتركُ طنيناً ضائعاً في أُذُني
ولم يسنح لي ان التفت اذ واجهني
بهدوءٍ وأخذ يتكلّم
بين أسنانه كانت ريحٌ
صغيرة تداعبُ أوراقاً

كبخيلٍ يحصي أموالهُ
غارقاً في حفيفها السحري
وجهه مضاءٌ وكأنما
بحفنةٍ من قطع الذهب
لن ينفقها ابداً
كنتُ أسمعُ، أم
هل يا ترى أكلّمُ نفسي؟
كان الهمسُ يقنع أذني الداخلية
كموجةٍ عنيدة
تضربُ حجراً
ريحٌ مشغولة بالنُّحات
مهمّتها لأجيالٍ، أن تنحتَ صخرةً
ان تفتحَ قوقعةَ الأذن
عليك أوّلاً ان تغمض عينيك
كوردةٍ ذات ألف ورقة
ان تجدَ الفاصلَ والحدّ
ان تُنقذ المسيحَ من يهوذا
ان تقبض على الريح يوماً
ان تختار سماءَكَ بدقّة

عليك ان تفتح عينيك هكذا
من الداخل كوردة
أيّةَ وردة تعني؟
يلعن أجدادك يا سركون!
ومتى رأيتَ وردةً
كم مرّةً سرتَ في حديقة؟
متى كانت آخرُ مرّة
جلستَ فيها معْ صديقٍ او صديقة
تتأمّلُ وردة؟
تعيش كأن جيشاً من الأشباح
يطاردكَ من مكانٍ الى مكان
في فنادق من الدرجة الثالثة
تحملُ أسماءَ الآلهة
حتى صوتُ القلم
يجعلك تفكّر بأسنان فأرٍ
يقرضُ كسْرة خبز
أين رغيفك الحارَ في الصباح
تجلبه لك أختك الصغيرة
(أين جديلتها

المضفورة في الشمس؟)
وتحت رأسك
على الأقلّ مخدّةٌ نظيفة
وبين يديك
على الأقلّ فراغُ التوقّعات
ما معنى بقائك مفلساً سعيداً
جائعاً شقياً ميتاً وحيّاً لا حيّ ولا ميّت
بين النوم واليقظة
لا نائم ولا يقظان
استيقظ او فنم
نم والاّ!

استطال الظلّ وكان يهزّني الآنَ كالخرقة
وأدركت لأوّل مرّة
انه لم يكن ظلاً ولا من يحزنون
كان انساناً مثلي من لحم ودم
رجلاً حقيقياً مجهولاً
لم أره في حياتي!
وامسكني من ياقتي وهو يهزّني

كأنه يعرفني
كأن الصعلوك أبي
أو أخي الأكبر
او مفوّضُ الأمن
او دائن لم يعد يطيق الانتظار!
قلت له
مرتجفاً
ما هذا؟ من أنت كيف تجرؤ...
لكنه لم يتركني أُكمل بل شدّني
اليه بقوّة مخيفة
وسحبني الى الباب من تلابيبي
ثم ركلني في مؤخرتي
ركلةً أطاحت بي في الفضاء
وأخذت أتدحرجُ على سطح الأرض
الكرويّ بلا توقّف
كأن قائداً مهزوماً ضربها
بقفّازه الملطّخ فجأةً
فأخذت تدورُ على محورها
من علامات الاستفهام الصدئة

ولا شيء يوقف عبوري
على صدر الأرض
حاضناً وديااناً وجبالاً وسقوفاً
حاضناً انهاراً وبشراً وحجارة
بذراعين أطول من ذراعيّ
لا تعرفان الآ العناق

تأخذني

تأخذني دائماً الى الحافّة
لألقي نظرةً، لأشرب، لأذهب
نظرةَ الأسرِ الى أسيره
نظرةَ الأسير الى الحريّة
في تلك الوديان المنيعة
حتّى على اللَّمْس

لن تتمّ المهمّةُ إلاّ اذا ذهبتَ مسلّحاً:
حجارةُ الفقر، أثداء الحرب المثلّثة
الرحلةُ انتهَت
والرحلةُ روّضَت أسدَ القبيلة
مسافاتٌ أتركها ورائي
مريشةً بخطوة
تصافحُ آفاقاً
تترجمُ أميالها وتلدُ المسافرين

لأنّها تلك الرّحِمُ الموهوبة، مزرعةُ الولادة

والأرض: لقمةٌ من الأشواك
لا تعرفُ البُخل

مزمارٌ بعيد
أتتْ منه نغمةٌ منفردة
سبحتْ إلينا من مسافاتٍ سحيقة
بين أوثانٍ معطّلة، على ظهور المدُن
في الأفواه التي لا تبوحُ بكلمة

نغمةٌ قاسيةٌ ونغمةٌ حنونة
جيبُ العواصف السرّي
حيث تبحثُ عن عُزلة الذّهب.

كلّما فتحتُ باباً: غرفةٌ غارقةٌ في الصلاة
براثنُ المساء
عنكبوتٌ يسيطرُ على حديقة

أحياناً لا أرى شيئاً (عمىً مؤقّت).

لكنّ أعمالي كلّها ناقصة الآن
تحفرُ الصفحةَ بحثاً عن قافلة
عن سُلّمٍ من الكبريت
أريدُ ان أعرف أين يعيشُ القلب
ان أقف في نسيمه الذي يطبعُ لي نَبضاتي
على سلحفاة الليل المسافرة
على الرغم من ذلك
كذلك
فوق ذلك
بالاضافة الى ذلك
مع ذلك
أجدُ مكاني باستمرار
كأنّه رحمٌ تستعيدني من العالم.

أريد أن أشكر الغبارَ الذي أحمله كالإرث
أينما ذهبتُ.

المحتويات

هناك رحلات ٥
الف ليلة وليلة ٨
الضيف البعيد ١٣
لن أنتظر أكثر ١٦
في تلك الأيام ١٩
هذه هي ٢٠
قصيدة إجرح الهواء ٢٢
الساعة الثالثة ٢٣
جريمة مغرمة بالحدوث ٢٤
دلتا ٢٧
خرائب ٢٩
النجّار ٣١
الام بوبلير وصلت ٣٣
الى ربّة الظروف العارية سيدوري، من مسافر ٣٦
قصيدة كلّ عشبة ٣٩
قصيدة قبل ان يزيح البطل ٤١

امرأة في ميناء (هامبورغ) ٤٣
موسيقى ٤٤
تحكم المصادفات ٤٥
الجريح ٤٧
صباح سحري ٤٨
ولاّعة ٤٩
مَهْرب ٥١
بلمسة واحدة كنت تقهرينني ٥٣
مرحلة سباتيّة مصحوبة بأضواء ٥٦
طريق الى كلمة ٥٨
الكلمة تظهر ٥٩
الثقاب ٦٠
تحيّة الى الظروف ٦١
أيام ٦٢
أطعنُ هذه المتاهة ٦٣
قضيت أياماً طويلة ٦٥
أسرار شعبية ٦٨
قصيدة في كل لحظة ٧١
مصارع العشاق ٧٢

سردين ٧٤
أنت التي ٧٦
الحمّى ٧٨
هولاكو يمدح نفسه ٨٠
٧ تعريفات ٨١
محاولة للوصول الى بيروت عن طريق البحر ٨٣
إل سالفادور ٨٧
أفعال مختارة ٨٨
اذا كنت تعرف ٩١
قصة ٩٣
ليلة في انسينادا/المكسيك ٩٥
قصيدة أخرى ٩٨
هروب قارئ الكفّ ٩٩
رسالة من هوليوود ١٠١
هناك ١٠٣
الى صديق ١٠٤
كلما خطوت خطوة ١٠٥
كهوف ١٠٨
أوروبا ١٠٩

مساء في قارّة مسروقة ١١٣
قصيدة عندما تنطلق صرخة ١١٧
صندوق ١١٩
جلاد ١٢١
قرية ١٢٢
أحلام مطرقة ١٢٣
بليلة واحدة ١٢٦
أرض الحاجة ١٢٨
تأخذني ١٣٤

جـلاد

أيها الجلاد

عُد الى قريتك الصغيرة

لقد طردناكَ اليوم، وألغينا هذه الوظيفة.

سركون بولص